كورونا كوفيد19... من صدمة المرض الى الوصم الاجتماعي

د.شهرزاد نوار
أخصائية نفسانية- أستاذ محاضر -جامعة قاصدي مرباح،ورقلة- الجزائر.
chahra.nouar@yahoo.fr

خلق انتشار فيروس كورونا خوفا وهلعا كبيرين على المستوى العالمي بسبب الانتشار الشديد والسريع للعدوى، بالإضافة إلى عدم وجود علاج له وارتفاع نسبة الوفايات حول العالم، مما خلق صدمة وأضرارا نفسية للإفراد.

وبالرغم من ارتفاع أعداد المصابين بالفيروس والوفايات،هناك الكثير من المرضى يتعافون من المرض، إلا أنهم مع العودة للحياة الطبيعية قد يواجهون مشكلة عدم تقبل بعض المحيطين بهم لهم خوفًا من انتقال العدوى والإصابة،معتبرين المرض وصمًا يلاحق صاحبه آو ما يعرف **بالوصم الاجتماعي**.

ظهرت الوصمة نتيجة الظروف الحالية والتهويل في الأخبار وتناقل المعلومات لتطال في بداية ظهور الوباء الأفراد المنحدرين من أصل آسيوي، ثم اتسعت لتشمل العاملون في مجال الرعاية الصحية والعمال الموجودين في الخطوط الأمامية ،وطواقم الطوارئ، ثم الأشخاص المصابون بالفيروس وعائلاتهم وأصدقاؤهم، والأشخاص الذين تم تسريحهم من الحجر الصحي، ليكونوا محل جدل ويشار اليهم على أنهم حاملون للمرض وناقلون للعدوى. ورغم ارتباط الوصم بالإجرام الا انه ظهر جليا في الأوبئة كذلك.

يعود مصطلح الوصم الاجتماعي إلى أزمان قديمة قدم تاريخ المجتمعات البشرية، فقد كان اليونانيون القدامى يحرقون أو يقطعون بعض أعضاء الجسم ومن تم يلعنون على الملا أن حامل هذه العلامة آو تلك هو خائن أو مملوك.

كما ارتبط الوصم الاجتماعي في القرن الماضي بالإفراد الذين اصبوا بأمراض معدية تحدث عن طريق العلاقة الجنسية (الايدز مثلا).

ظهر مفهوم (الوصمة) في نظرية التسمية (Labiling) لجوفمان (Goffman) في كتابة (الوصمة) المنشور سنة 1963 ، وذلك للإشارة غالى علاقة التدني التي تجرد الفرد من أهلية القبول الاجتماعي الكامل.وتركز البحث في هذا المجال بصفة أساسية على المشاكل الناجمة عن وصم الأفراد والجماعات،وعلى آليات التكيف التي يستخدمونها لمجابهتها.

يرى جوفمان أن الوصمة هي الصفة التي تجعل الفرد مختلفا عن الآخرين ويتم تقويمه في تصورات الأفراد المحيطين به من شخص كامل وعادي إلى شخص ملوث وخصم. وبالنسبة لجوفمان فالوصمة تشمل مفاهيم سلبية متجذرة عن الأفراد الموصومين بناءا على المعاني الاجتماعية والصور النمطية المقترنة تقود أفراد المجتمع لمعاملة الشخص الموصوم بأقل من إنسان .14 .

فهو مصطلح يستخدم للإشارة إلى الأفراد الذين هاجمهم الفيروس، بأنهم "ضحايا" أو "عائلة " فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) أو تصنيفهم على أنهم فئة خطيرة ناشرة للعدوى وبذلك منبوذة وغير مقبولة اجتماعيا.

خلق انتشار فيروس كورونا خوفا وهلعا كبيرين على المستوى العالمي بسبب الانتشار الشديد والسريع للعدوى، بالإضافة إلى عدم وجود علاج له وارتفاع نسبة الوفايات حول العالم

ظهرت الوصمة نتيجة الظروف الحالية والتهويل في الأخبار وتناقل المعلومات لتطال في بداية ظهور الوباء الأفراد المنحدرين من أصل آسيوي، ثم اتسعت لتشمل العاملون في مجال الرعاية الصحية والعمال الموجودين في الخطوط الأمامية ،وطواقم الطوارئ، ثم الأشخاص المصابون بالفيروس وعائلاتهم وأصدقاؤهم، والأشخاص الذين تم تسريحهم من الحجر الصحي

يعود مصطلح الوصم الاجتماعي إلى أزمان قديمة قدم تاريخ المجتمعات البشرية، فقد كان اليونانيون القدامى يحرقون أو يقطعون بعض أعضاء الجسم ومن تم يلعنون على الملا أن حامل

فالوصم إذن يرتبط بميزة او هوية تعتبر دونية او غير عادية حيث يقوم على تركيبة اجتماعية تستند الى كياني " نحن" و" هم" وترمي الى تثبيت الحالة الطبيعية للأكثرية من خلال تحقير الاخر. وبتعبير اخر هناك تصور ان الشخص الموصوم ليس كباقي البشر.

ومن ثم يشير الوصم إلى خلاف اجتماعي جدي حول مميزات أو معتقدات شخصية ينظر إليها على أنها تعارض القيم أو المعايير الثقافية السائدة.

وحسب جوفمان يحدث وصم الفرد عندما يحمل متغيرا نسبيا مقارنة بالنماذج الموجودة في الوسط الاجتماعي المباشر. فهو تعبير سلبي للغاية يغير مفهوم الذات والهوية الاجتماعية لدى الفرد.

إذن يقوم الوصم على تجريد أشخاص في مجموعات محددة من أدوارهم الاجتماعية. وقد تكون الوصمة التي يوصم بها الفرد جسيمة (العدوى بأمراض جنسية) أو وثائقية (صحيفة حالة جنائية) أو قرينية (صحبة سيئة) سواء كانت منسوبة أو مكتسبة

لماذا الوصم الاجتماعي؟

افترض جورج هربرت ميد، باعتباره مساهمًا في «البراغماتية الأمريكية" ، وعضوًا في مدرسة شيكاغو، أن الذات تُبنى اجتماعيًا ويعاد بناؤها عبر التفاعل بين الفرد والمجتمع. ويعتمد الإنسان كما تراه المدرسة الرمزية على التكيف التفسيري لردود فعل الآخرين الواقعية والتخيلية، وخاصة ردود فعل الأخر المهم. فالأفراد في المجتمع يكونون مفهومهم عن ذواتهم، بناء عًلى ما يتوقعونه من ردود أفعال الآخرين في المجتمع نحوهم، ويذكر كولي (cooley) أن الفرد ينظر إلى توقعات الآخرين كمرآة اجتماعية يرى فيها ذاته من منظور الآخرين أو يأخذ دور الآخرين في تقييم سلوكه الذاتي، أو يأخذ ذاته كموضوع في الحكم على سلوكه الشخصي.

فإذا كان الانحراف (المرض بالوباء في هذه الحالة) فشلًا في الامتثال لقواعد باقي أفراد الجماعة (الفشل ي المحافظة على الصحة الذاتية) ،فإن ردة فعل الجماعة هي وصم الشخص بأنه أساء لقواعدهم الاجتماعية والأخلاقية. تتمثل قوة الجماعة بوسم الاعتداءات على قواعدها بالانحراف، ومعاملة الأشخاص المسيئين بشكل مختلف عن باقي أفراد الجماعة اعتمادًا على خطورة الانتهاك الذي قاموا به. كلما زاد اختلاف المعاملة، تأثرت صورة الذات عند الفرد.

تقترح نظرية الوصم أن الأفراد يحصلون على ألفاظ الوصم من خلال نظرة الآخرين لنزعاتهم وسلوكهم. يكون كل فرد واعيًا بآلية حكم الآخرين عليه لأنه اختبر عدة أدوار ووظائف في التفاعلات الاجتماعية وكان قادرًا على قياس ردود الفعل الاجتماعية تجاهها

ماذا يحدث للفئات التي تتعرض للوصم الاجتماعي؟

إن الملاحقة بالكلام الجارح وفكرة عدم التقبل، المقاطعة والخوف من التعامل، تهدد المرضى المتعافين وتعرضهم لمشكلات نفسية ، فعند وصم مجموعة معينة، قد يشعر أفرادها بالعزلة أو النبذ مما يؤدي بهم إلى الشعور بالإحباط والاكتئاب والأذى النفسي والغضب عندما يتجنبهم الأصدقاء وأفراد مجتمعهم خوفًا من الإصابة بالعدوى، فالوصمة في هده الحالة تلحق الضرر بالصحة النفسية للفرد وتكدّر صفو حياته. كما أظهرت الدراسات والأبحاث المتعلقة بالأوبئة السابقة أن الخوف من الوصم والنبذ الاجتماعي قد يدفع بعض الأفراد إلى تجنب الخضوع للفحوصات أو طلب الرعاية الطبية، مما يزيد من خطر إصابتهم وإصابة غيرهم بالعدوى. وقد يمتد أثر الوصم لحين انتهاء الأزمة، وقد يلاحقهم طوال حياتهم ويضطرون لدفع ثمن غير مستحق بمجرد إصابتهم بفيروس مستجد هدد العالم كله.

واعترضت منظمة الصحة العالمية عن التحدث عن المرضى باعتبارهم "حالات 19" أو "أسرة 19"،مما

هذه العلامة آو تلك هو خائن أو مملوك

يرى جوفمان أن الوصمة هي الصفة التي تجعل الفرد مختلفا عن الآخرين ويتم تقويمه في تصورات الأفراد المحيطين به من شخص كامل وعادي إلى شخص ملوث ووصم

هو مصطلح يستخدم للإشارة إلى الأفراد الذين هاجمهم الفيروس، بأنهم "ضحايا" أو "عائلة" فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) أو تصنيفهم على أنهم فئة خطيرة ناشرة للعدوى وبذلك منبوذة وغير مقبولة اجتماعيا.

أن الذات تُبنى اجتماعيًا ويعاد بناؤها عبر التفاعل بين الفرد والمجتمع. ويعتمد الإنسان كما تراه المدرسة الرمزية على التكيف التفسيري لردود فعل الآخرين الواقعية والتخيلية، وخاصة ردود فعل الأخر المهم

أن الأفراد يحصلون على ألفاظ الوصم من خلال نظرة الآخرين لنزعاتهم وسلوكهم

إن الملاحقة بالكلام الجارح وفكرة عدم التقبل، المقاطعة

يؤدي إلى وصمهم وسلب إنسانيتهم، بل التحدث عنهم كأناس فقط، لأنه من المهم "فصل الإنسان عن المرض."

استراتيجيات وقائية للتكفل بالفرد الموصوم:

من المهم قبل كل شيء توعية أفراد المجتمع بمدى الأذى النفسي الذي يتعرض له المتعافون، وأن المرض ليس وصمًا ولا يعيب أحد ويمكن لأي فرد أن يصاب به، ويتم ذلك بتكافل جهود جميع الجهات المسؤولة. كما انه من المهم تقديم الدعم النفسي للمتعافين عن طريق :

–المصاحبة النفسية للمرضى والمتعافين(l'accompagnement psychologique)،من خلال فتح المجال لهم للتعبير عن شعورهم وألمهم النفسي والمخاوف التي يشعرون بها.

– نشر معلومات مفصلة ودقيقة ومبسطة عن الفيروس وإيصالها عبر جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقرؤة.

– تصحيح المفاهيم المظللة وتشديد العقاب على بث الأخبار والمعلومات الخاطئة.

– محاولة كبح ذلك الأذى عن طريق المشاركة المجتمعية، والحديث مع الأشخاص الذين يتسببون في الضرر للمتعافين، إذا لزم الأمر فرض عقوبات ردعية للافراد المتسببين بالاذى.

والخوف من التعامل، تهدد المرضى المتعافين وتعرضهم لمشكلات نفسية

عند وصم مجموعة معينة، قد يشعر أفرادها بالعزلة أو النبذ مما يؤدي بهم إلى الشعور بالإحباط والاكتئاب والأذى النفسي والغضب عندما يتجنبهم الأصدقاء وأفراد مجتمعهم خوفًا من الإصابة بالعدوى

قد يمتد أثر الوصم لحين انتهاء الأزمة، وقد يلاحقهم طوال حياتهم ويضطرون لدفع ثمن غير مستحق بمجرد إصابتهم بفيروس مستجد هدد العالم كله.

من المهم قبل كل شيء توعية أفراد المجتمع بمدى الأذى النفسي الذي يتعرض له المتعافون، وأن المرض ليس وصمًا ولا يعيب أحد ويمكن لأي فرد أن يصاب به

المراجع :

– الأمير، وعد إبراهيم خليل (2009). الحواسم: دراسة لرد الفعل الاجتماعي حسب نظرية الوصم، آداب الرافدين، العدد56.

– البداينة ذياب (2012). تطوير مقياس للوصم الاجتماعي للمصابين بمرض الأيدز في المجتمع العربي.مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 9 ، عدد2 ، يونيو 2012 ،ص4

– سليماني الكاملة،بشقة سميرة (2016). الوصم الاجتماعي كأحد عوامل العود للانحراف،مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 18، مارس 2019،ص-ص 101-123.

- *Gaskins, Foster,(2007). AddedUse of Stigma, Fear, and Denial in Development of a Framework for Prevention of Hiv/Aids in Rural African American Communities, Vol. 30 Issue 4, p318-327, 10p.*

- *Goffman, E, (1963). Stigma, Engulewood, Gliffs,n,j. (N,j.(New Jerssy): Prentic, Hallince.*

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Document/DocChahraNouar-CoronaFromShockToStigma.pdf

شبكة علوم النفس العربية
نحو لياقة نفسانية أفضل
مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد
Arabpsynet